

# قُلُوبُ الْعَرَبِ وَالدُّعَاةُ مِنَ الدُّوَلِ

ان تكون نتيجة طبيعية لجو المؤتمر ، ولا لإبحاثه ، ولا للمناقشات التي جرت عقب القاء المختصرات خلال اربع من الساعة ، تطول وتقصّر ، حسب تبرعات رئيس الجلسة للمحاضر ..

ولربما كان بين هذه المقررات التقديمية اجمالا ، والشاملة لمختلف قضايا الالتزام ، على الاقل في صورتها الخارجية ، وبين مناقشات ( بعض ) اللجان صلة واضحة ، اكثر مما بينها وبين الابحاث ، سواء منها التي القيت ، او التي طويت ، او طبعت ولم تقرا بعد .. ومن ناحية اخرى ، فان لبعض الباحثين اعذارهم المرتطة غساليا بضييق الوقت ، وكثرة الانشغالات والاهتمامات الاخرى بامور وظائفهم وغيرها ، مما اعاقهم عن الافاضة والدرس .. والابداع !

المهم ان جيل ادب الوحدة ، ادب الثورة ، ادب الاشتراكية ، ادب النكبة ، هذا الجيل كان غائبا ، غاب شعراؤه وكتابه ، وغابت معهم قضاياهم الحقيقية . واصبح لغيرهم ، بل ولن يناقضهم ويحاربهم ، ان يتحدث عن تجاربهم وان يطلق الاحكام . ومع ذلك فقد جاء المقررات ( الثورية ) تغطية ( حكيمة ) لكل هذا .. !

وبعد فلنأت الان ، على كل حال ، الى مناقشة بعض نماذج الابحاث ، التي نشرتها ( « الادب » ) في عهدها الماضي . ولنتبع تسلسل نشرها ، مبتدئين بمقال الدكتور مهدي علام وهو :

( الادب وقضية فلسطين )

الدكتور ( علام ) آثر في موضوعه ان يتجنب التقييم والتحليل لنماذج من ادب فلسطين . وحصر موضوعه في استعراض سريع لبعض هذه النماذج . وقد حاول في مطلع البحث ان يعطي صيغة نظرية ، تقسم الادب الى مفهومين ، خاص وعام . ويقصد بالادب الخاص ، ما يعتمد على الصورة الجميلة والعاطفة المؤثرة للتعبير عن خلجات النفس كالشعر والقصة . والى جانبه ايضا انواع اخرى من الادب الخاص ، وهي الكتابة في مختلف الموضوعات ، من سياسة واجتماع وفلسفة ، تعتمد في اجتذاب قارئها على الحجّة والبرهان ، لا على العاطفة والصورة . ومهما يكن من امر هذه القسمة ، فان الدكتور ( علام ) يود ان يقول لنا فيما يتعلق بموضوعه ، اننا اذا اردنا ان نبحث عن ادب لفلسطين ، فلا ينبغي ان نغفل نظرا على الشعر والقصة وحدهما ، بل علينا ان نسعى وراء كتابات سياسية اخرى ، قد نجدتها في الخطب والمؤتمرات ، وفي الوثائق والعرائض ..

مثلا هناك « الادب القانوني » ، ونجده في ادب الوثائق الرسمية . ومنها وثيقة ترد على بيان رئيس القضاة البريطاني ، في مؤتمر فلسطين ، الذي عقد في لندن سنة ( ١٩٣٩ ) . ويسرد علينا الكاتب جزءا من هذه الوثيقة . ولست ادري هل يمكن اعتبار هذه الوثيقة او غيرها ، مما يقترحه علينا الدكتور علام ، ادخل في الادب ، ام في السياسة بمعناها الحرفي ..

ثم يردف الكاتب هذا المثال ( الوثائقي ) بما يناظره في الشعر عند ( عبد الرحيم محمود ) - وهو شاعر لم اسمع به من قبل - ، وعند ( ايليا ابو ماضي ) . وهكذا يسير الموضوع حسب هذه الخطة ، الى ان يصل الى تقرير حقيقة شاملة ، وهي ان على الباحثين ان يضعوا تحت اسم ادب فلسطين كل ما قيل من ادب بالمعنى الخاص ، وادب بالمعنى العام .

ولعل من ابرز ما عرضه من امثلة ، على الشعر ، بعض مقاطع جميلة او طريقة ، لجورج صيدح ، وابراهيم طوقان ، وفي وصفه للهجرة اليهودية . لقد كان موضوع الدكتور ( علام ) افضل صورة نموذجية عن الابحاث

## الأبحاث

بقلم مطاع صفدي

العدد الماضي من الادب كبير بالحجم ، متنوع في الموضوعات . وهو فضلا عن ذلك ، عدد ممتاز ، مناسبته مؤتمر الادباء الخامس ، المنعقد خلال شهر شباط في بغداد .

بضعة ابحاث من المؤتمر نشرها الدكتور سهيل في هذا العدد . وربما تكفي هذه الابحاث لتؤدي مهمة افضل العينات والنماذج عن بقية الابحاث الاخرى .. وهي كثيرة ، لم نتح لاصحابها فرصة القائها في جلسات المؤتمر . وحتى الذين اتاحت لهم هذه الفرصة ، القوا مجتزآت او مختصرات عن موضوعاتهم . الا ان القائمين على المؤتمر قد طبعا جميع الابحاث والقصائد ، في كراسات مستقلة ، ووزعوها على الادباء وغيرهم .

ولا بد من البداية ان نلاحظ ان طابع السرعة هو الغالب على كتابة هذه الابحاث . ومن ناحية اخرى ، لم تتحدد الموضوعات منذ فترة طويلة سابقة على انعقاد المؤتمر . وهذا ما جعل المدعوين الى المؤتمر يتقدمون بموضوعاتهم عفويا ، ودون سابق تنسيق . سيما وان هناك دعوات وصلت متأخرة الى اصحابها ، فلم يتح لهم ان يعدوا ابحاثا مطلقا .

ولعلي لا اغالي ان قلت ، بالرغم من فرحي بعنوانين المؤتمر الكبيرة ( الادب والوحدة ، الادب والاشتراكية ، الادب وفلسطين .. الخ . ) ، ان هذه العناوين قد جئت على اصحاب الابحاث ، فاعتقد هؤلاء ان عليهم كتابة ( جرد ) باسماء شعراء وكتاب ، شاركوا بالقضايا القومية ، عن طريق شعر المناسبات وما يشبهها . ولم يأت اي بحث لكي يقيم تجربة الادب الحقيقي ، الادب الانساني المستبطن لقضايا مصرية ، والمعاش للتجربة الثورية من داخلها .

لقد توقعنا مثلا ان نستمع الى بحوث تعالج تقييما جماليا وانسانيا لادب الالتزام ، لانتاج عشرات من الكتاب والشعراء اللتزمين ، الذين عاشوا هذه العناوين الكبرى طيلة ما يقرب من ربع قرن ، حافل بالحاولات الجريئة ، وتجارب التجديد ، والفوض على اصول المعاناة الابدائية والفكرية ، والبحث عن ادوات مبدعة في التعبير ، حتى اصبحت لدينا مدارس ومذاهب متنوعة ضمن ادب الالتزام ..

اقول على الرغم من ان عناوين المؤتمر كانت هي العناوين السياسية المباشرة لادب الالتزام ، فان الباحثين قد مسحوا من الوجود كل تجارب الالتزام . بل لقد مسحوا من حياة الادب العربي الحديث ، اعظم فترة نشاط وابداع وحيوية له .. وهي فترة العشرين من الاعوام الماضية . واذا كان احدهم قد عن له ان يتذكر بعض الاسماء ، فهو يمر بها استعراضا خارجيا . بل ان ( الامتياز العظيم ) لهذه الابحاث كلها ، انها كانت استعراضا ، ولم تكن ابحاثا ..

وبالتالي فاذا حكم مجتمع بغداد المثقف ، الذي كان يتابع احداث المؤتمر لحظة فلحظة ، اذا حكم على موضوعات المؤتمر بانها كانت اجمالا دون المستوى المطلوب ، وانها مخيبة للامال ، حتى قبسلسل ان توصف بالرجعية او التقديمية ، فان هذا الحكم هو الذي يقر واقع تلك الابحاث للأسف .

ومن العجيب ان المؤتمر فشل في معالجة قضاياها ، التي انتدب نفسه للتصدي لها ، ولكنه نجح في سلسلة من المقررات ، التي لا يمكن

التي اكتفت بالاستعراض والسرود . واذا كان افضل برهان يمكن ان يسوقه الدكتور علام ، على ضرورة استيعاب الخطب ضمن ادب فلسطين ، فهو ما جاء في رسالة جمال عبد الناصر الى الرئيس كنيدي ، اذ قال « لقد اعطى من لا يملك وعداً لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان - من لا يملك ومن لا يستحق - بالقوة والخديعة ، ان يسلبا صاحب الحق الشرعي حقه ، فيما يملكه وفيما يستحقه . »

ان هذه العبارة الرائعة المكثفة لعنى النكبة كلها امام الوجدان الانساني ، هي في الواقع ذروة من ذرى الفكر الثوري ، لا يمكن ان ترقى اليه اية وثيقة اخرى . والاحرى ان يسمي الدكتور علام ، السوناتا والدراسات وخطب المؤتمرات السياسية، انها من باب الثقافة العلمية المرتبطة بقضية فلسطين ، اكثر منها بالادب .

#### ( دور الادب في معركة فلسطين )

واما الادبية الفاصلة ، السيدة سميرة عزام ، فلقد مضت مباشرة نحو طرح مشكلة الادب العبر عن النكبة كله ، عن ضحائه وانفعايته الآتية ، عن تسطحه وفوراته العفوية . وبذلك وضعت يدها على احد اعصاب القضية ، النابض بالحوية وقدرة المعاناة من القرب ومن الداخل . تقول سميرة : « ان الفرق النوعي في النظرة والاحساس والفكر ، الذي يجب الا تفرسه طبيعة الانفعال بفلسطين كنيبة قائمة ، والانفعال بالقضية كعمركة حتمية ، يفرض علينا الوانا من الاستجابة ، لا تقتصر على اطراح التفجع والندب فحسب ، بل تقتضي حساساً شمولياً ونظرة استشرافية ، لا بد للفكر والادب من ان يمانيهما ، ليصح اعتبارهما اداة من ادوات المعركة ، اداة تحمل في تضاعيفها ، التنويه بوزنها ، وقيمتها الذاتية . » لم تسع سميرة اذن الى تملق الادب الفلسطيني ، سواء الذي كتب باقلام ابنائه ، او ابناء العروبة ، وانما حاولت مباشرة ان تقيس المسافة المعنوية الرهيبة التي تفصل بين حجم النكبة وبين حجم الادب العبر عنها .

ولقد قدمت تعليقات مباشرة لهذه المشكلة . حتى كانت احيانا تجد منكات وشبه اعذار للتقصير والتسطح . ولكنها ، وهي ايضا في عجلة من امرها ، لم تهتم الا بالناحية العملية المباشرة . بمعنى انها كانت مشغولة في امر تدبير الحل ، بعد هذا التقرير العاجل لوضع الادب الفلسطيني . وكذلك اغتفت نفسها ، من التذليل التحليلي على صحة احكامها ، من خلال اثار الكتاب انفسهم . ولعلها بذلك ايضا ارادت ان تنقيد بحدود معينة ، فرضتها على نفسها .

ولانها كما قلت مهمة بالتحريض على الاصلاح ، فانها تسارع الى طرح مقترحات عملية ، على الاديب كيما يصبح الصق بموضوعه ، واشد قدرة على اعطائه حقه من المعاناة والتعبير الاصيل .

ومن ابرز ما تقترحه ، امر لا يمكن ان يتحقق بالارادة والتصميم ، وانما يتطلب نموا حضاريا معيناً للانسان العربي ككل ، وليس للاديب فقط ، وهو هذا الشرط - عدم قصر احساس الاديب بالنكبة على مناسبات معينة ، بل تعدو القضية لديه قضية معايشة يومية .

ان سميرة تطالب الاديب بذلك المستوى الرفيع من التمثل الشمولي، المنخلع عن صخب الاحداث ، والمتفلل في الكيان الذاتي للاديب . هذا المطلب ، في الواقع ، هو الذي يخلق الآثار الكبرى فسي الثقافات والحضارات العالمية ، كرواية ( الحرب والسلام ) لتولستوي مثلاً ، وكثيرها من الآثار التي تحاول ان تحيط بمصير امة من خلال احداث فاصلة ، لتقدم تجربة كبرى من تجارب المعاناة والحرية الانسانية . ثم تطلق سميرة الى مقترحات عملية ، تضعها امام الحكومات والمؤسسات الرسمية ، من اجل تشجيع الثقافة الفلسطينية عامة ، والادب منها بخاصة . وهي كلها مقترحات عملية قابلة للتحقيق ، وجديرة بالتنفيذ . ولعل منظمة التحرير الفلسطينية ، هي الاولى بان تبدأ هذه الخطوات .

#### ( الجذور التاريخية للاشتركية العربية )

في دراسة مستفيضة حاول الدكتور عبد العزيز الدوري ، ان يكشف

عن جذور الاشتركية العربية في التاريخ العربي والاسلامي . وهو يعلن من بداية هذه الدراسة ، انه يود ان يفتي عن الاشتركية العبرية الاسلامية اية علاقة لها بالماركسية . فان هذه الاشتركية اقدم اولا من الماركسية ، ومنشقة ثانياً عن تقاليد الفكر والعقيدة العربية (الاسلام) ، وهي ثالثا ترفض التفسيرات الماركسية لحركة التاريخ العربي ، من جاهليته الى اسلامه وامبراطوريته . وكذلك يعلن الدكتور ( الدوري ) ان اسم الاشتركية العربية ، لم ياتها فقط من تطبيقها العربي . فهي لا علاقة لها بالماركسية التي تدعى صلاحيتها لكل زمان ومكان .

ويرجع الدكتور الدوري ، منذ البدء ايضا ، على مناقشة بعض افكار الماركسية ، بشكلها العريضي ، ورميها جملة وتفصيلاً بعدم صلاحيتها للتطبيق في عالمنا العربي . ومع ذلك فان الكاتب لا ينكر اعتباره لاهمية العامل الاقتصادي ، ولكنه ينكر في الوقت نفسه ان يكون عاملاً وحيداً . ثم يطلق ليبرهن على جذور الاشتركية العربية في هذه الدعوة المستمرة للعدالة ، التي رافقت الفتوحات الاسلامية ، وتاريخ الحركات الاخرى ، التي كانت تقوم احيانا لدواع اقتصادية ، وكيف كان يعالجها الحكم العربي والاسلامي .

ان الدكتور الدوري يصر على انه الى جانب المحركات الاقتصادية لبعض الحركات الدينية ، فان للافكار الدينية اثرها ايضا . وكذلك كان للشعوبية اثر كبير على قضايا الصراع . وهي في الاصل حركة تنافس قومي بين العرب والعجم ، ولا دخل للفني والفقر فيها .

وفي الوقت نفسه يتحدث عن حركة القرامطة ، وثورة الزنج ، والعيارين والشطار باعتبارها كانت ثورات طبقية الى حد ما . وكذلك يصف نمو التجارة وظهور طبقة للمستغلين واصحاب الثروات الضخمة ، ويقلل في الوقت نفسه من اهمية انتشار النظام الاقطاعي عبر المسالك الاسلامية . .

والواقع ان القارئ لهذا الموضوع قد تلتبس عليه بعض مقاصد الكاتب ، وان كان يشعر احيانا بانه يوافق على اراء كثيرة ، وقد يقف احيانا متسائلاً مدققاً حول اراء اخرى .

منها مثلا :

● ان مبدأ العدالة الذي قامت عليه عقيدة المجتمع العربي الاسلامي القديم بقي مرتبطاً بالشروط الحضارية المتحولة آنذاك . ولذلك فان المذاهب الاسلامية والمدارس الفكرية المختلفة التي نشأت ابان استقرار الحضارة العربية عبرت عن اتجاهات مختلفة ، بعضها يميل نحو اليمين وبعضها يميل نحو اليسار ، وبعضها الاخر ، يتجاوز القضية الاجتماعية الى التناحر الشعبي .

● فماذا يدل ذلك ، ان لم يدل على امكانيات تعدد وجهات النظر ، والانطلاق من صراعات موضوعية نحو تفسيرات تأخذ طابعاً دينياً صحيحاً او محرفاً .

● وبالتالي فان مبدأ العدالة هذا يحتاج مع تحول الظروف الاجتماعية، ومع تقدم العلم ، الى تحديد واضح لمضمونه يناسب نسوع الصراعات الاجتماعية ، التي تبرزه وتؤكد عليه . فمن المسلم به ان مختلف العقائد السماوية ، والفلسفات والدعوات الإصلاحية ، منذ ايام الحضارات الراقية القديمة ، من كونفوشيوس الى بوذا الى افلاطون حتى القرن التاسع عشر ، كانت كلها تطلعات نحو العدالة والمساواة ، وكذلك كانت الثورات السياسية والاجتماعية . ولكن ذلك لا يعفينا من محاولة دراسة الاشتركية الحديثة . ولا يعفينا كذلك من السعي الى تحليل اوضاع مجتمعنا العربي على ضوء النظريات العلمية ، واكتشاف ما يلائمه من الحلول الاشتركية الثورية ، شرط الا نطمس فيه خصوصية ظروفه ولا ان نبالغ فيها الى درجة نفي امكانية الاستفادة من علم الاشتركية، كما يمكن ان نفيد من مختلف العلوم الاخرى .

● ولست اعتقد اننا مثلاً لدفع بعض الآراء ، مضطرون للانطلاق والتعصب . فلا حاجة ابداً الى ترديد معزوفة ( الافكار المستوردة ) ان

## القصيد

بقلم الدكتور احمد كمال زكي

\*\*\*

### مهرجان الشعر في بغداد

لن اتحدث عن هذا المهرجان ، لانني لم اشهده ، ولم تقع لدي كل قصائد الشعر التي القيت فيه . ولكن ما نشر من هذه القصائد حتى الان - وفي عدد الادب الماضي منها اثنتان - يكشف عن حقيقة خطيرة هي ان شعر المهرجان لا يمكن ان يمثل واقع الشعر العربي المعاصر كله . فأغلب القصائد كان عن بغداد الف ليلة وليلة ، لا بغداد العباسيين العظام ، وكان الشاعر اذا اراد ان يخرج عن هذه الدائرة وقع في شرك القوالب الجاهزة التي فرضتها مواقفنا في الدعوة الى تمكين الحس العربي في قومية تستهدف وحدة شاملة

ومن ناحية اخرى كان كل ما همر به المتهرجون من الشعر العمودي باستثناء قصيدة لنازك الملائكة ومما انشده شعراء ليبيا . ولست ادري بماذا نصف هذا الصنيع وشعراء الشباب اليوم لا يصدرون الا عن الشعر المرسل ؟ هو موقف من المهيمين على المهرجان ضد القصيدة المرسل ام عدول من جانب الشباب عن انطلقهم الى اسر الغافية وروياها ؟ وهل يعني هذا ان المهرجانات لا يناسبها الا الشعر العمودي الذي تستدر قافيته التصفيق ؟

مجرد ظاهرة ارسدها ، ثم افقر الى قصيدة احمد اللغماني ، وهي مما القى في المهرجان بعنوان « بغداد » . ولا شك انها اصابت ما شاء صاحبها من التوفيق بخاصة اذا كان رائع الانشاد ، ولقد جاءت من النوع الرصين على الرغم من وقوعها في « المتقارب » الذي يزل بصاحبه ويدفعه الى سطحية العبارات المكدره المتبدلة . وهذا وحده دليل على تمكن الشاعر التونسي من ادائه ، وفي الوقت نفسه رد مباشر على من يقول ان « البحر » يفرض المستوى الذي ترتفع اليه القصيدة او تنخفض عنه .

ومع ذلك فكلمة الحق تقتضي ان نعترف بان الشاعر ابتعد كل البعد عن بغداد الجوارى المفنيات والعبيد وليالي الرشيد ، وقصد الى « الفكرة » التي يعيشها الشعب العربي حتى تتحقق ، اعني الوحدة العربية مع اقرار بذنوب ضياع فلسطين ، وهو شيء اصبح عارا في جبين العرب !

ولقد مهد لهذه الفكرة بتمهيدين موفقين : اولهما ابيات في الحكمة على النسق العربي المعروف ، أي يلخص التجربة دون ان يعرضها ، فيقول فيما يقول :

وايمان تونس ان الطامح

تدرك بالجهد لا بالتمنسي

مصير ابن آدم رهن يديه

وما الحظ الا اباطيل ميسن

والتمهيد الثاني مناقشة لقضية الحتمية او الجبرية التي يرفضها على نحو ما يقرر انه - ولعله في هذا كأي عربي - لا يأخذ بعقيدة العجز لان مشيئة الله ان يختار ويحمل تبعات اختياره :

وحملني تبعات اختياري

فخيرني احد المرسين

مشيئته ان اخط مصيري

وابني حظي بالساعدين

القصيدة حلوة من غير شك ، فلنتركها الى قصيدة اخرى من قصائد المهرجان ايضا بعنوان « الى زوجتي » وقد القاها رجب مفتاح الماحري الليبي ، وهي تحمل بشاشة الشعر المرسل وبساطته ، وان كنت لا اعلم تماما بماذا ظفر صاحبها عندما انشدها وفي المهرجان من اخذ بحجوة احمد اللغماني ومن لف لفة !

وفي رأيي ان هذه القصيدة اذا لم تكن شيئا في المهرجان فيكفيها انها كانت مما نبه على سمات الشعر المرسل ، وان كنت اعيب على صاحبها نثرته التي طبعت المقطع الاول منها وجزءا من المقطع الثاني ، أي من اول قوله « غابطني » الى قوله « فآثرني » ، على اني اذا كنت محكما لاخترت قصيدة اللغماني بلا تردد !

### لماذا

قصيدة لفدوى طوقان ، في المقطعين الاول والثاني منها ارادت ان تفلسف الموت فلم تستطع . ارادت ان تسبغ عليه لونا ، فظل بلا لون الا هذا اللون الذي رسبته فواجع الاحداث وعرفته بصيرتنا بلا معالم ولا تخوم ! ومن هنا كان لا بد لها وهي تحاول ان تحدد معناه - وقصد صرحت هي بذلك - ان تضع نفسها ازاء هذه القوة التي لا مهرب منها ، او تضع الميت الذي كان لحنا جهيرا حيث يوضع عادة فتستطعم مرارة الخيبة والاخفاق .

ومن خلال النظرة الكلاسيكية يبدو خاطفا كالحلم او هاويا كالنجم ، او لعل الشمس خلسته عشقا ، فمضى اليها يشق دروب النرى واستقر في اهداب صبح ميبين على المرتقى !

في هذه المعاني الكلاسيكية وقفت فدوى طوقان . . نابضة بثقل الفاجعة التي اسلمتها الى ضرب من المقاومة ، ولكن دون ان تندب او تنوح ! واكبر الظن ان هذه عندها هي الفلسفة الحقيقية . فعلى الرغم من انها خضعت تقريبا لنفس المؤثرات التي خضعت لها زميلات سبقنها الى الرناء ، فانها ظلت نمطا متفردا ، وتفردا هذا هو الذي أضفى على افكار الموت المتداولة في المقطعين المذكورين ما يشبه الجدة :

اقول لقلبي لقد عاش يهوى

عناق الحياة على المرتقى

وتخلبه الشمس عشقا فيمضى

يشق اليها دروب النرى

اكان يطيق احتمال دبيب المساء

فيلقى المصير بنار خبت . . .

وبروح ذوت في هشيم السنين

على المرتقى عائق الموت ما بين اهداب صبح ميبين

ويبدو ذلك المقطع - وهو الثاني - جميلا موقفا ، الا ان فدوى كانت اكثر توفيقا في المقطع الثالث حيث بلورت فيه احساسها بتجربة الموت - على نحو فلسفي - في اوسع الجالات . وهي في قمة اعتدادها بان اخاها الراحل جزء طليق يدور مع الفلك الدائر ، تنكسر انكسار الانسان الذي لا يؤمن او لا يستطيع ان يؤمن بهذا المنطق الخلاب ! انها في قمة غرورها لا نجد مناصا من ان تستسلم الى احساس المرء بطغيان الفناء . فقد يملك هذا المرء ان يقول ويقول ، ولكنه لا يملك ان يقبل الفناء تتويجا لوجود ، ولا يستطيع ان يتصور ان في الزوال فيض امتلاء ! ومن هنا كانت فدوى اكثر من رائعة واكثر من صادقة ، وقالت بعد ان توجت عمر اخيها الراحل بما شاءت ان تتوجه به :

اقول . . ولكن قلبي في غمرات اساه العميق الصموت

يعود فيقرع جدران صدري

يسائل في حيرة في قنوط :

لماذا يموت ؟

لماذا يموت ؟

احسب ان احدا من شعراء العرب لم يهيا له ان يصور المصير الزائل هذا التصوير ، وعلى هذا النحو من البساطة كما فلتت فدوى طوقان !

### وجه البراءة

هذه القصيدة لملك عبد العزيز تقف حيث وقفت فدوى طوقان ، ولكن من زاوية اخرى سداها موقفنا - نحن ابناء الجمهورية العربية المتحدة - من قضية اليمن ، ولحمتها الفداء بمن لا ترى من الشهيد الا

وجه طفل يعيد براءته كرامة الانسان .

ولكن بالاضافة الى سذاجة الفكرة حتى ليسال بعضنا : اهذا فقط ما يؤلها في فقد الفقيده ؟ فاننا نقتد ابعاد تجربة واضحة على الرغم من انها تصر على تحديد مفزى ما تهف اليه في موضعين او ثلاثة . ولقد نراها تزجي الصور جنباً الى جنب مع شعارات تدور حول البيع والشراء والدولار وارقاء ماء الوجه والشم والغمم - ويبدو انها مشغولة بقضية مالية - فلا نملك الا ان نشي على براعتها الفنية ، الا اننا لا نجد مفرا من ان نقول بعد الشاء : ثم ماذا ؟

ان التصدي للموت مهما تكن صورته فسي قصيدة ملك ، ومع تسليمنا بانه كان حقيقة ذات ملامح خاصة ، فهو لم يصنع شعرا يرتفع عن مستوى المقررات الجامدة . ومن هنا بدا عند الشاعرة شيئاً مجردا لا يضيف على كفاحات الانسان - التي اصرت ملك على اثباتها - ضوءاً كاشفاً .

ويضعف من النغمة التي شدتنا الى مثلها قصيدة فدوى السابقة شيئان : الاول نثرية تظهر في مثل قولها :

ما زال في قلوبنا براءة البذل براءة الحنان  
بغير بيع او شراء  
بغير دولار بغير كبرياء  
تدل ان اعطت  
تدلتنا

تريق ماء وجهنا

تدفننا بالخزي بالهوان !

والثاني ما يمكن ان نسميه معاذلة ، او ما يدخل تحت ما خوفت منه نازك الملائكة في مقالها الذي نشرته الاداب في عددها الماضي بعنوان « ( الادب والفرو الفكري ) » . واعي تهالك الاداء اللقوي تهالكاً مصدره العربات ، وآية هذا التهالك اخر مقطع في القصيدة .

### مارس الحزين

اذا كانت ملك عيد العزيز لم تصدر عن عمق عاطفي في مجال الموت فان كمال نشأت في « مارس الحزين » يفعل دون ان يصر على اخضاع اطراف تجربته للقياس المنطقي ، ومن ثم لا يمكن ان نتجاهل كل العناصر التلقائية في قصيدته ، بل لا يمكن الا ان نقدر هذا الضرب من التحمس الرومانسي الذي جرى واقعيو العصر على رفضه او على اخذه بريب . والحقيقة اننا نحتاج فعلا الى من يبصرنا بخطأ هذا الكبح غير الطبيعي للرومانسية ، ولا سيما عندما تكون لقاء على « الطبيعة » التي تفتح عن وجود بريد ان يزدهر ويخفق الصقيع . ولقد تكون صور « مارس » التقليدية المأخوذة من شعراء لبنان والمهجر مبررا لحاجتنا تلك ، حتى يقف المرج الاخضر والفجر الخجسول والنسيم الرفاف والسنونو الذي يرق ازاء ليل النار ورعد الموت وخطى الكفاح وغير ذلك مما ملته اسماعنا . الا انها عندما تصبح - على ما جاءت في قصيدة كمال - اساسا لعنى يضرب فيه جيلنا ، جيل القلق والخوف والانتظار ،

## في البحرين

تطلب « ( الاداب ) » وكتب « ( دار الاداب ) »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبى

تكبر حاجتنا اليها ويسهل معها التخلي عن الصناعة اللفظية التي تختلط فيها الاوصاف الحلوة بالانماط المتداولة . ان كمال نشأت في « مارس الحزين » يعبر ببساطة ، ويعرف عن الصور « ( العامة ) » التي يتضمنها عادة كل شعر يعتمد صاحبه الا يجعله مفهوما ، ويبلغ اقصى تجليه عندما يقول :

يا مارس الحزين  
كم من مساء حلق القمر  
وكم عيون للبشر  
تطالعنه

لكنه ما مل صحبة السنين  
ورحلة البزوغ والافول  
لانه - في قيده - يجول  
وليس كالبشر

هذا على الرغم من انه يجعل بيت القصيد في المقطع الاخير ، وذلك عندما يقول :

انا هنا  
نعيش ما نعيش  
ومرحبا ان جئت بالصقيع  
ونحن في الربيع !

### بطاقة بريد

للشاعر حسن النجمي الذي لا يمل ان يرتل في محراب فلسطين آلم كلم ، ولعله في مقدمة فنانينا الذين يملكون الكثير من الاحساس بالفقد والضياع . ولكن هذا الاحساس الذي يعبر عنه النجمي من صعيد الكارثة وفي « بطاقة بريد » يتحدث عن شوق يرتكز على الحقيقة التي تقرر في بساطة وصدق انه لا بد من العودة .

والغربة وفلسطين بالنسبة له ليستا موضوعا تجمد في انماط مججناها لتكرارها وتوقفها عند السطح ، وانما هي عملية معقدة يجسد النجمي نفسه اسير اسبابها ، وهي تضرب في الاعماق وتدب مع الدم في الاعراق .

وهنا .. في بطاقة بريد يشير الى انه ما من الفاظ يمكن ان تعبر عن معاناته الضارية ، فقد ابهظته الايام التي طال مرورها عليه وهو مبعث عن بساينه وحقله وثماره ، فصمت وتكلمت جراحه :

يا هوى غلف بالحزن مداري  
يا هوى يدرك اني لفتي الصمت ...  
جراحاتي حوارى

وهذه الفكرة هي عصب القصيدة في الحقيقة اذا جعلنا الشوق يخطط لتجربته ، والنار - وهو قاسم مشترك في كل شعره تقريبا - او الاستعداد للثأر يستحيل حافظا ابدا او قوة تدفق الى ان يعمل والى ان يتصور انه الفادي او بروميثيوس المارد الذي قبض النار الالهية من الشمس من اجل البشر فصار - كما قرر اسخيلوس - فريسة نسر ضار راح ينهش كبده ثلاثين الف عام .

سوف تقضي العمر جريا في البرارى  
شاعرا يصرعه الحلم ...  
سدى ، قابض نارا !

ان هذه القصيدة في تكتيكها القديم الجديد - فهي تلتزم القافية ذات الروي الموحد مع التحرر من النظام البيتي الخليلي - موفقة من غير شك .

### انتصار ايوب :

هي للشاعر شاذل طاقة يعود بها الى الراحل بدر شاكر السياب ليؤكد انتصاره برغم الموت كما انتصر ايوب - وقد علق السياب حالته

- التتمة على الصفحة ٧٩ -

## القصص

بقلم الدكتور وليم الميري

\*\*\*

« يوسف » و « ابراهيم » ، « وجود » لا يأتي ، والقطار ، ايضا ، لا يأتي ، وتحت شخص ثالث في كلتا المسرحيتين يأتي او يحاول ان يأتي باخبار عن جودو او عن القطار ، هو في مسرحية بيكيت الصبي وفي مسرحية الباقرى الرجل الثالث ذو البدلة الزرقاء ، والصبي والرجل الثالث قد يبعثان الامل في نفوس المنتظرين ولكنهما قد يبعثان علسى اليأس .

ابراهيم : ان هذه الليلة تبدو لي كالأبد ، ليس نمة اقل من الانتظار .

الرجل ( مخاطبا ابراهيم ) : ولكن هنالك الامل .. وفي اخر المسرحية يقول ابراهيم ( مخاطبا الرجل ) : وماذا علمت ؟ الرجل ( بكآبة ) : لقد اتصلت بنا محطة بعيدة تليفونيا ، تذكر انه قد حدث عطب اخر في هذه المحطة الاخرى .

وإذا كان مضمون المسرحيتين واحدا ، فالشكل واحد بالضرورة ، ويشيع في مسرحية الباقرى تعابير ومفاهيم لا نفتقدها في مسرحيات الالامعقول .

ابراهيم : ربما أبدلوا مواعيده ، فانهم يدلون مواعيد القطارات كما يغيرون ملابسهم الداخلية ، فربما وصل وانطلق قبل مجيئنا ، وقد يكون امامنا الان دون ان نراه ، وقد لا نكون في المحطة ابدا ( يفسرك عينيه ) ترى هل نحن في حلم ؟ اننا نعيش في كابوس دائم . حسنا ، اصغفني .

يوسف ( يصفه بقوة ) : انك الان صاح .

... ..

ابراهيم : هل انت سعيد ؟

يوسف : لا .

ابراهيم : نعم .

يوسف : لا .

ابراهيم : لا .

يوسف : نعم .

ابراهيم : ينبغي الا تياس وكن رجلا .

يوسف : ينبغي الا تياس وكن رجلا .

ابراهيم : الموتى هم الخاسرون .

يوسف : الاحياء هم الرابحون ! عاش المنطق ! انه يجعلك ثري وانت لا تملك ثمن عشاء .

\*\*\*

فماذا فعل كاتب المسرحية « لا سفر في الليل » ؟ انه لم يفعل اكثر من تعريب « في انتظار جودو » مع اختزالها اختزالا شديدا .. انه لم يكتف باستعارة الشكل الجديد في كتابة المسرحية ، بل استعار مضمونها ايضا ، او قل انه استعار الشكل ففرض المضمون نفسه عليه ، او استعار المضمون ففرض الشكل نفسه عليه للتلازم الشديد بين الشكل والمضمون في مسرح الالامعقول ، وهذا ما جعلنا ننيه الى خطر التآثر بالانجاهات الجديدة دون وعي او حذر ، فنحن ، في الحقيقة ، لا نتأثر بالاشكال وحسب ، ولكننا نتأثر بالاافكار فكاننا ننقل لفة جديدة غريبة عنا . وقد تفرق بكاتب المسرحية العربية فنقول : لعله يجرب شيئا جديدا شكلا ومضمونا وهو لا يقصد اكثر من التجربة والمران .. لعله !

\*\*\*

ونأتي الى قصص العدد ، وهي ثلاث اولها قصة « عذاب المعرفة » بقلم علي بدور ، واذا كان الفن الحقيقي يلمح ولا يصرح ، ويهمس ولا يصيح ، ويعرض لاعمق الافكار ولا يعرضها عرضا فلسفيا في جمل ذات صياغة منطقية فان قصة « عذاب المعرفة » تعرض لفكرة جعلت عنوانها واضح الدلالة عليها بحيث يعني عن القصة نفسها ، ولم يكتف الكاتب بالمنوان بل عبر عن هذه الفكرة في عبارات صريحة واضحة :

« ان المعرفة على تنوعها تورث التعب والسؤولية » و « .. وحامد الان لانه كان يعرف .. يتعذب . من قال انه غير مهتم ؟ انه في اعماقه

في عدد الاداب الماضي ثلاث قصص قصيرة ومسرحية مفرطة في القصر هي اقرب الى القصة القصيرة حجما . واذا كان لا بد من اشارة قضية هنا فالقضية التي تثار تتصل بالمرح ، لا لان القصة القصيرة اثار من القضايا ما فيه الكفاية ، فالفن لا تنتهي قضاياها ، ولكن لان المسرحية التي نشرت في العدد الماضي ، وهي مسرحية « لا سفر في الليل » تثير قضية لا اقول جديدة ، ولكن لا بد من اثارها من جديد ، ونعني بها التآثر بمسرح العبت او مسرح الالامعقول . فالمسرحية صيغت صياغة عبثية ، بل انها تحتذي مسرحية « في انتظار جودو » لصمويل بيكيت ، كما نرى ذلك مفصلا عند التعرض لهذه المسرحية . ونحن نتساءل هنا : هل مسرح الالامعقول من السهولة بحيث يفري بالتقليد ؟

ان مسرح الالامعقول ليس سهلا ، فهو يسير على اصول وان بدا انه يخالف كل اصول ، فعناصر الدراما متوافرة في مسرح أئمة العيشين ، والجديد الذي اتى به مسرح العبت يتصل باستخدام اللغة وعدم الخضوع للسياق الزمني المنطقي ، مما يزيد هذا المسرح صعوبة ربما بالنسبة للمسرح التقليدي الذي يمكن السيطرة على تكتيكه بالدراسة والممارسة . والسؤال الثاني : هل مسرح الالامعقول شكل لا بد منه للتعبير عن مضمون معين ؟ ونحن اميل الى القول بان مسرح العبت او الشكل المسرحي الجديد الذي اتى به مسرح العبت ربما كان اصلح الاشكال للتعبير عن مضمون معين ، ولكن هذا المضمون هو مضمون اوروبا الغربية ، فمسرحيات العبت التي ظهرت في اوروبا الغربية هي رموز للوجود المتمزق والقلق الفكري والمذهبي الذي يعيشه الانسان الاوروبي . فمسرح العبت ، اذن ، شكل يفرضه مضمون معين ، فهل يعاني العالم العربي حالة تشبه حالة اوروبا الغربية ، حالة انهيار القيم والافكار ؟ هل يعاني الانسان العربي تمزقا في وجوده ، وقلقا على مصيره ؟ هل نجد شيئا من هذا بحيث يستوجب التعبير عنسب الاخذ بشكل مرض جديد وهو مسرح العبت ؟ ربما يقول قائل او يعترض معترض ان تيار الالامعقول قد جرف حتى كبار الكتاب المسرحيين ذوي القدم الراسخة في الفن المسرحي وفي مقدمتهم كاتبنا المسرحي الاول توفيق الحكيم ، ولكن لعل هؤلاء قد نسوا ان الحكيم عندما كتب مسرحياته الالامعقولة واولها « يا طالع الشجرة » قد فعل هذا ليمارس تجربة جديدة في الفن المسرحي ، فالحكيم استاذ له ان يمارس التجارب الفنية الجديدة فسي اقتدار ووعي وحرية ، فهو لم يتخذ هذا الشكل الجديد منهبا له وهجر من اجله المسرح التقليدي بل نراه يعود الى الكتابة المسرحية التقليدية بعد ان جرب قلمه في مسرحيات الالامعقول ونجح فيها . وبعد فما نريد ان نقوله هنا هو ضرورة التنبه الى خطر مسابرة الاتجاهات الجديدة سواء في المسرح او في غير المسرح ، وان تكف عن استيراد الاشكال الفنية والادبية التي قد تكون ضرورية للتعبير عن مضمون عربي ولكنها لا تكون ضرورية للتعبير عن مضمون عربي .

\*\*\*

وحتى لا نكسر السياق نرى ان نبدأ بمناقشة مسرحية هذا العدد وهي مسرحية « لا سفر في الليل » بقلم احمد الباقرى ، وهي مسرحية في فصل واحد او منظر واحد . ولا ادري لماذا تخضر هذه المسرحية في ذهني مسرحية صمويل بيكيت « في انتظار جودو » « Waiting For Godot » ففي مسرحية بيكيت اثنان هما « استراجون » و « فلاديمير » ينتظران المدعو « جودو » وفي مسرحية الباقرى القصيرة جدا اثنان هما « يوسف » و « ابراهيم » ينتظران القطار ، « واستراجون » و « فلاديمير » متلازمان او قل ملتصقان كما هو حال

يحترق .. « و « لعل الانسان وهو يسعد باقتراح المعرفة ينسى عذابها .. ان الثمن الذي يدفعه الانسان لقاء معرفته بالآخرين ، هو معيار الحياة الحقيقية التي تقاس بعمق واصالة » .

فماذا بقي للقصّة ان نقوله باحاديثها وشخصياتها ورمزية حوارها؟ والقصّة بسيطة محكمة وكان يمكن ان تؤدي المعنى الذي اراده الكاتب منها ، فحامد ، بطل القصّة ، يقف ينتظر الباص ويحيى زوجان في شهر العسل ، الزوجة مشغولة بزوجها ، والابن مشغولان عما حولهما ، ويكتشف حامد ان الزوجة هي سميرة التي تعرفت عليه بالهاتف ووجد فيها فتاة احلامه فاذا بالمعرفة تعذبه وحده لانه يعرف .

وبالرغم مما عاب القصّة من التصريح بفكرتها في عنوانها وما فيها من عبارات دالة فقد وفق الكاتب في ان يمضي بالقصّة من بدايتها حتى اكتشف حامد انه يعرف فاذا به يتعذب في تكتيك بارع يصتمد على دقة التحليل والوصف والانتقال من زمان الى زمان دون ان يشعر القارئ بهذا الانتقال .. ومن اوصافه وتحليلاته البارة قوله : « كانت الزوجة توشك ان تحيط زوجها بنظراتها وتخفيه عن الآخرين » . وان عابه ان يكرر هذا الوصف في اكثر من موضع ، فهو مرة يقول : « وهي تخفيه وتشده وتجذبه اليها بمنفى ، تلاففه وتشعره بوجودها كله من خلال نظراتها التي كانت تريد ان تحتويه بكلية فلا تظهر منه شيئا » . ومرة ثالثة يقول : « لا تزال سميرة تخفي زوجها في نظرات عينها » . ويلجأ الكاتب الى المنولوج الداخلي لان حامد هو محور القصّة ، وكل ما يقع حوله انما يأخذ دلالاته من واقع اعماقه ، وان كان الكاتب لا يسرف في المنولوج الداخلي .

\*\*\*

اما القصّة الثانية في العدد الماضي فهي قصة « ناس في الليل » بقلم ضياء الشرفاوي . وهذه القصّة من قصص التراحم على حد تعبير الأستاذ عبد الرحمن فهمي في العدد الماضي ايضا ، يكتب امثالها كسل القصاصين في مطلع حياتهم . ولا اعلن هل الأستاذ ضياء الشرفاوي في مطلع حياته او قد تجاوز مطلع العمر وان لم يكن قد تجاوز هذه المرحلة في كتابة القصّة .. نعم بيومي حارس سيارات في احد ميادين القاهرة يعيش هو واسرته على القروش التي يدفعها له اصحاب السيارات الذين يتركون سياراتهم في حراسته ، والرجل يجعل لكل باب من ابواب الانفاق جيبا يضع فيه شيئا من الرزق الذي ياتيه ، وهو مشغول بجيب سمحة ابنته التي تنتظر الدواء وثمنه جنيه وفي الجيب اقل من نصف جنيه ، وفي الميدان ثلاث سيارات ، اثنتان صغيرتان والثالثة فارهة يلوح عليها العز والثراء ، والتعاب كلها تاتيه من صاحب هذه السيارة الكبيرة الفارحة ، فالرجل المسكين ينام ، ويترك نفسه لاحلام اليقظة وينتبه على صوت يمنعه بشدة وينهمه بسرقة فوائس السيارة ولا يتركه الا بعد ان يأخذ ما في جيب سمحة وتمطف فتاة الليل التي كانت بصحبة صاحب السيارة فتسقط في يده ورقة نقدية بخمسين قرشا اي بزيادة عما كان فسي جيب سمحة وهكذا تنتهي القصّة نهاية « ستمتالية » .

ولا شك عندي ان الكاتب قد وصل الى مرحلة لا بأس بها من النضج في الاداء ، فهو يعالج قصته هذه بشكل يتواءم مع مضمونها ، ويزاوج بين الحلم والواقع ، ويحسن استخدام الحوار وهو يديره في لغة عربية سليمة ولكن في سلامة تجعله اقرب الى لغة الحوار الدارج ، وتبرد براعة الكاتب في ادارة الحوار بهذا الاسلوب عندما يستخدم المنولوج الداخلي ، فيديره بلغة عربية سليمة ولكن دون ان تفسد اللغة انتقالات المنولوج الداخلي ، وتقطع هذا الحوار ..

« .. كل شيء غرق في النوم .. من هنا يا سيدي .. نعم .. على طول .. الشارع القادم .. في اخره .. في ماذا تفكر ايها الرجل؟

.. ان ابنتي سميحة مريضة منذ شهر .. انها بنت حلوة ستحبها ان رايتها .. الم تعرضها على طبيب ؟ .. نعم .. نعم يا سيدي والله .. وكتب لها الدواء .. ان الدواء غال يا سيدي .. ثمنه جنيه .. جنيه كامل .. »

وبهذا الحوار نجح الكاتب في ان يجعلنا نعيش مع سميحة فسميحة هي بطلّة القصّة ، هي الشخصية الاولى في القصّة ، وقد نجح الكاتب في هذا دون ان يلجأ الى اللهجة الخطابية والى عبارات الوعظ التي تزخر بها عادة امثال هذه القصّة من قصص التراحم .

\*\*\*

« زورق في دم » ليوستف شرورو هي القصّة الثالثة والاخيرة في هذا العدد ، وهي في مستوى دونه القصتان الاخرتان ، وهي قصة طويلة ، ولا شك ان الاستاذ يوسف شرورو قصاص راسخ القدم في فن القصّة ، وهو يعالج قصته هذه مستخدما السرد التقليدي والمنولوج الداخلي والاسلوب التأثري .. فالكاتب يوهمك بان يلتزم التكتيك التقليدي فيستهل قصته : « وكان وجهه العصبي » .. ويمضي مع هذا السرد حتى ينتهي من مقابلة الطبيب الذي سعى اليه ليخلصه من الجنين الذي انتفخت به بطن حبيبته الاميرة السابقة . وزورق الدم هو هذا الجنين الذي يلتقي به في قنوات لندن ومجايرها . والمخلص يفسد القصّة لانها ليست قصة حوادث بالرغم مما فيها من سرد ، انها قصة احداث داخلية ، في داخل كمال الفريب في لندن الذي يشعر انه فقد مقومات الحياة لانه فقد الجذور التي تصرب في باطن ارضه وبلده ، ولهذا فهو لا يريد ان يحتفظ بالجنين ويقول :

« لا اود ان اراه صبيبا يمشي ، لا ارغب في ان يكون لي ولد ، لا املك روافد حياة لامد بها الحياة » .

وهو يربط بينه وبين هذا الجنين الذي وضع جثومته ، فاذا كان قد فقد مقومات الحياة لانه غريب وضائع في مدينة كالقول يتلّع كل شيء ، واذا كان يريد لهذا الجنين الموت ، فهو يريد لنفسه ايضا .

هذه مأساة الفريب ، والقصّة تكشف عن اكثر من مأساة ، فهناك مأساة الاميرة السابقة ، الاب طرد امها والام طردت ابنتها ، والابنة تسعى الى ان تنسى هذا كله في احضان هذا الفريب وبمتمعة جنسية متصلة : « أنت من جعلني اعيش الشبق الجنسي المتواصل ، تسليخ ظهري ، اريدك كل ليلة ، وكل ساعة .. » .. ثم مأساة الوحدة التي تلهم القيم وتزري بالفضيلة .. « لن تطردني صاحبة البيت لانني اعيش معك ، هي تمنى ان تجد احدا ليقاسمها نصف سريرها العريض ، وتجري القشعريرة الشيقة في كتفها ليلا .. » .. ومأساة الحضارة المادية التي تجعل الطبيب يخالف القانون وهو يعلم انه سوف يسجن في يوم ما .. لان له زوجة تعشق رؤية الوريقات الزرقاء والخضراء ..

هذه القصّة ليست قصة كمال واميرته السابقة وصاحبة البيت التي تنتظر من يقاسمها نصف سريرها العريض والطبيب المزيف الذي تعشق زوجته رؤية الوريقات الزرقاء والخضراء ، انها قصة المدينة الكبيرة ، قصة الغربة والضياع .. والقصّة تصور هذا كله بالشخصيات الممزقة ، والاسلوب الخاد ، والالفاظ الدالة ، وبهذا الايقاع الذي يشيع في القصّة وتفطيه هذه الجملة التي تنكرر : « كف عن الرقص فلن تكون هناك بساتين تلج ، ولن تتدفق عيون مياه » . ان الكاتب يلقي بهذه الجملة في سياق القصّة محدثة ايقاعا زمنيا ونفسيا عميقا .. ثم يجيء الديالوج الداخلي من غير هذيان ، فيكمل الصورة او القطعة الموسيقية العادة التي ارادها الكاتب تعبيرا عن ضياعه او غربته او مأساته او مأساة الاميرة ، او مأساة المدينة العظيمة ، او مأساة الحضارة الانسانية ..

وليم الميري

القاهرة

## الابحاث

— تنمة المنشور على الصفحة ٨ —

كنا نريد ان ندافع عن حضارتنا وثقافتنا التراثية . والواقع ان افضل دفاع هو ان نبعد حضارة جديدة تخاطب العصر بلغته ، لا ان نتفنن في محاولات عقيمة للاعتصام بمعادل مما وراء الزمن . ولست احسب ان الدكتور الدوري يمكن ان يلتقي بمجمل ارائه مع الذين يدعون الى الانكفاء والاكفاء بما صنعه الاجداد .

وكذلك فان الالحاح على مبدأ العدالة كمثل اعلى ، يسمح لمختلف القوى الاجتماعية ، من اقصى اليمين والرجعية الى اقصى اليسار والتقدمية ، يسمح لهم بان يعطوه التفسير الذي يريدونه ، وبذلك يفقدون الاشتراكية نجوعها الثوري ، ويجردونها من اي تجسيد موضوعي . فان هناك قضايا يومية مباشرة كالاستعمار والتخلف ، الاقطاع والراسمالية ، التجزئة والطائفية ، كلها تتحدى فينا اصالتنا الثورية ، واجبايتنا في وضع الجلول الواضحة المحددة .

ومن خلال معاركتنا الثورية التوالية، انضحت لنا المضامين الاجتماعية للقومية العربية . وامام هذا الوضوح كان على الثوريين العرب ان يختاروا احد طريقين : اما طريق الإصلاح المبني على مبدأ العدالة ، بدون تحديد المضمون الاجتماعي ، او طريق الثورة المبني على مبدأ العدالة ، المحدد بمضمون اشتراكي علمي . وهذا الطريق هو الذي تسيير عليه اليوم اكبر ثورة رائدة للعالم العربي ، في القاهرة .

وكنتم اتمنى لو ان الدكتور الدوري حاول ان يعطي لموضوعه بعض التفاصيل فلا ياتي بهذا الشكل الاقرب الى تلخيص لبعض معالم التاريخ العربي . فان التفصيل والتحديد ، ضمن منهج فكري واضح ، هو الذي يطور وجهة نظر الكاتب تماما ، ويبيدها عن هذا التآرجح المجرى بين مختلف المواقف .

ولست اشك ان التاريخ العربي والاسلامي ، يحتاج الى اعادة نظر ، الى قراءة ثورية ان صح التعبير ، الى البحث عن جوانب المحافظة والاستقلال الاجتماعي والسياسي تحت يافطات عقائدية مختلفة ، والى البحث عن معاني الثورات والمذاهب الفكرية ، وعن الخلفيات الثورية التي تقف وراءها ، في بنية المجتمع المادية نفسها . وبالتالي علينا ان نستخدم مختلف الادوات العلمية من اجل فهم هذا التاريخ ، ثم فهم المرحلة الحاضرة شبه المنقطعة انقطاعا حضاريا وزمنا عن عصور الحضارة العربية القديمة .

وعلينا بالمقابل ان نصدى لمختلف المذاهب الاشتراكية ، وفي طليعتها الماركسية نفسها ، ونناقشها ونحاورها فيما يترسب عنها من حقائق ، وفيما تخطنه التجربة الاشتراكية العالية نفسها . . وذلك بدلا من ان نرفضها رفض الجاهل المتعصب . ونكفي على انفسنا ، وندعي اننا نملك الحقيقة المطلقة منذ الازل والى الابد . . !

اننا نعيش في اعظم عصر لتلاقي الافكار وتواجهها وتفاعلها . ولا مهرب لنا من ان تقدم ما لدينا ، ونفهم ما لدى الاخر ، والا فقدنا حضورنا من العصر وفي العالم . .

وإذا كان يصح في ناحية ان نبحث عن جذور لاشتراكييتنا في تقاليدنا الروحية والثقافية والقديمة ، فان الاصح ايضا هو ان نبحث عما يميز تجربتنا الثورية الحاضرة . . هذه بالذات . حتى ولو لم نجد جذورا لها في تاريخنا ، ولم نسع الى اصطناع جذور اخرى . .

ان البحث عن الجذور يعادل ، ان لم يقف ، البحث عن البذور الجديدة في الارض الجديدة . . ومن اجل ربيع جديد !

فحين لا نجد الجذور علينا ان نبذر ونزرع من جديد ، وتلك هي الدعوة العمق في صميم ثورتنا الحضارية اليوم . . لا نريد ان نكرر ، ولا ان نستمر مجرد استمرار ، ولكننا نريد ان

نخلق من جديد ، ولو من عدم ، ومن خلال هذا العصر ، وبادواته وثقافته وحفائقه . .

هذا هو التاريخ كحياة وحضور ، وليس التاريخ كمتحف وغياب وسكون !

● واخيرا لعل الدكتور ( الدوري ) قد وقف عند حدود عرض بعض اوجه الصراع في التاريخ . وكان هذا هو نصف الموضوع ، او المدخل الى الموضوع المنتظر ، وهو السؤال : ما موقف الدكتور الدوري المحدد تماما ، على ضوء نظراته تلك في التاريخ ، من الاشتراكية العربية ، وما هو مضمونها الاجتماعي الثوري في رايه . . هل هي مجرد دعوة للعدالة ، وكيف ، وماذا تعني هذه العدالة عمليا . ؟

### ( التراث والمجتمع الجديد )

ان الدكتور ناصر الاسد صور معركة الجديد والقديم ، عبر عصور الحضارة العربية وبين موقف الجدد المزيين ، وهسم الشعوبيون ، والمجددين الاصلاء . وكان مع التراث ضد دعوات الشعوبيين ، ومسح المجددين الاصلاء ضد المحافظين الجامدين . وعرج على المشكلة في الوقت الحاضر فدعا الى احياء التراث دون ان يقف ذلك عثرة في وجه التجديد . ودعا كذلك الى التجديد شرط ان يكون ذلك نابعا عن روح الامة وظروفها . وهو في نهاية المقال ، لا يكتف استيائه من المقلدين السذج للثقافات الاخرى . ولكنه في هذه الاسطر القليلة ، جاوز اعتداله العلمي ، وكشف عن شبه غضب من الثقافة الغربية ككل . . عندما قال : « او انه شيء (اي التجديد) لا تعرفه الامة ، ولا تحس به ، ولا تتفوقه ، ولا تحتاج اليه . شيء غريب عنها ، دخيل عليها ، منقطع الصلة بها وباصولها وتراثها . » .

كاني بالاخ الكاتب اذن يود ، من خلال صيغة التساؤل هذه ، ان يثبت هذه التهم كلها على محاولات التجديد المعاصرة . وسواء اراد ذلك ام لم يرد ، فان هذه الاوصاف ، هي الكليشات المعهودة التي يرمي بها عادة المتأدبون الرجعيون ، حركات التحرر والثورة فسي الشعر والقصة . .

ودون ان ندخل في نقاش الان مع اصحاب هذه التهم نريد ان نسأل سؤالا واحدا فقط :

تري كيف تتاح للام ان تستخدم صناعات الامم الاخرى ، دون ان تتاح لها التفاعل مع افكارها ؟ وهل هناك ثقافة حقيقية فسي تاريخ الحضارة الانسانية كلها ، ممتعة على التمثل والفهم من قبل اي مثقف في اي عصر ؟

فالامة التي لا تتلوق ثقافة اليونان ، ولا تفهم ثقافة الغرب المعاصرة لا بد ان تكون عاجزة حتى عن فهم ثقافتها التاريخية هذه . .

وبدلا من هذا التعميم الغريب ، الا نقول انه حتى داخل الحضارة الغربية ، هناك من يقبل فكرة او نظرية وهناك من يرفضها ، والا ما رأينا في سلسلة الفلسفات المثالية الكبرى والعقلية ، وما يقابلها من الفلسفات الواقعية والمادية . . وما رأينا في ملايين الكتب التي الفت لعرض نظريات وذخى نظريات اخرى ؟

فاللاركسية لا يدين الغرب كله بها والا اصبح شيوعيا . وكذلك الوجودية وكذلك المثالية . .

فلماذا اذن نحرم على العربي ان يشارك في هذا المعترك الثقافي ، اليس له الحق في الاطلاع والدرس ، القبول والرفض ؟ . .

الواقع ان الازمة هي ان هناك من يجهل ثقافة الغرب جملة وتفصيلا ويماني تجاهها مركبات نفسية معقدة ، وليست ثقافية . .

وكذلك هناك من يجهل التراث العربي ، وربما دفعه هذا الى رفضه ايضا دون وعي وتمثل . .

هذا اذا نحننا من هذا التصنيف جماعات الاستقلال السياسي والطبقي ، الذين يهمهم مثلا اخفاء رجعتهم او شعوبيتهم ، اما بادعاءات تراثية مغلقة ، او بادعاءات تفرنج سطحي .

( المتجردة ) حتى نعلم الى اي حد كان اقدم الشعراء العرب لا يتخرجون من وصف الجمال ، والتشبيه ، والتفزل الحسي بمفانته .  
ثم انه لم يكن يخلو اي عصر من عصور صدر الاسلام ، وحضارة الاسلام ، من شعراء لا يضعون الاخلاق جانبا في قصائدهم فحسب، بل يتفنون في معالجة الادب الجنسي المكشوف ، بالفاظه ومواقفه. ولست احسب ان السيدة نازك تناسى هؤلاء الشعراء ، الذين لم يكونوا ملعونين ، كحال بعض شعراء الفرب ، امثال رامبو وبودليير ، بل كانوا شعراء مجتمع وبلاط ووجاهة .

هذا عدا عن الكتب الثرية الكثيرة ، التي الفت بصدد الاتارة والتشويق الجنسي ، والتي ما زال بعض العامة يتداولونها سرا حتى ايامنا هذه ..

وعدا عن كتب المراجع الادبية القيمة كالاغاني والعقد الفريد ، كما ذكر سهيل ادريس .

واما الادب الغربي ، فان نازك نفسها ، قد ذكرت ان هناك من النقاد والكتاب من دعوا الى ربط الادب بالاخلاق . واذا توسعنا في هذا المجال وجدنا ان في الفرب مدارس اذبية ، تتراوح بين اعنف اشكال المحافظة و .. ( الخلفية ) ، وبين ما يقابلها من طبيعية وانطلاق ..

ويكفي ان نذكر الكاتبة انه حتى بين الوجوديين ، هنالك فلاسفة وكتاب دينيون متطرفون ، امثال ( غابرييل مارسيل ) في فرنسا ، و ( ياسيرز ) في المانيا ..

غير انه حتى الكتاب ( الاخلاقيون ) لا يتخرجون عن معالجة الجنس، وقضاياها « الااخلاقية » .. لانهم لا يسمحون لانفسهم ان يهملوا نصف الواقع والحياة ، وان يتجاهلوه . بل من خلال تجارب الانحراف والشر والردية ، كثيرا ما يكشفون عن اعماق نزعات الانسان نحو السمو الحقيقي ، لا المزيّف الخارجي ، لا الاخلاق البورجوازية المناقفة ، لا الاقتعة المزورة لعقد النقص والكتب ..

وتتجنى نازك على ( بلزك ) لانه في روايته التي ذكرتها ، وفي روايات اخرى ربما لم تقرأها نازك ، كان لا يتخرج عن وصف العالم الادني ، الطبقة المظلمة ، من المجتمع والنفس ، بؤر الضلال والضياع .. ولكن لولا ( بلزك ) ، وكتاب واقعيون آخرون ، لما قامت الدعوات

الاشتراكية في الفرب ، لما تعرفت الانسانية الى الجوانب المظلمة من حياة المجتمعات البورجوازية . ان ( بلزك ) و ( توماس هاردي ) و ( ديستوفسكي ) هم الذين افلحوا في اطلال الثورات الاشتراكية والشعبية منذ اواخر القرن الماضي .

ولست ادري لماذا ميزت نازك ، بين ( بلزك ) و ( اميل زولا ) ، وهما متقاربان وينتميان الى نزعمة واحدة . فاتهمت الاول بانه يدعو الى البربرية . ووصفت الثاني بانه يدعو لسمو الاخلاق .. !

واحب ان اذكر الكاتبة ببعض ( قراءاتها الغربية ) ، فان المذهب الطبيعي ، الذي شاع في اواخر القرن الماضي ، في فرنسا ، ينطلق من مبدأ اول ، وهو ان على الكاتب ان يصور الانسان والمجتمع والطبيعة ، كما هي في الواقع ، وان يتجرد بقدر الامكان ، عن اهوائه ووجهات نظره الخاصة ، اي ان يسلك سلوك العالم في بحثه عن الحقيقة . واصحاب هذا المذهب الى ما يسمى اليوم بالواقعية، والواقعية الاشتراكية . ونبغ بل لا بد من الكشف عن العالم كما هو ، عن الانسان ، في سلوكه اليومي، الظاهر والخافي . وبعد ذلك ، يترك للقارئ ان يحكم على ما يرى من خلال الكتاب ، ان يقبل او يرفض ، ان يدين او يبرئ . ولقد تطور هذا المذهب الى ما يسمى اليوم بالواقعية ، والواقعية الاشتراكية. ونبع فيه كتاب عالميون كبار ، افادوا قضايا التقدم والتحرر الانساني ، والفوا مؤونة رافعة للتحليل الاجتماعي العلمي ، وربما تعرف هذا الكاتبة ، او لا تعرفه !

فلا يصح اذن ان تلقى الاحكام جزافا ، ودون سابق اطلاع حقيقي وشامل على مثل هذه المدارس والنزعات الايجابية . وان يكتفى بتنتف واقوال ، وملخصات مشوهة ، لتكوين فكرة عن خصم من الافكار والمواقف، التي لا اعتقد ان الكاتبة قد كلفت نفسها مؤونة دراستها في متونها

اما فيما يتعلق براء الدكتور ( اسد ) فانه يلخصها بهذه الخاتمة العامة الصحيحة : « فالطور في الادب ينبع من تطور المجتمع ، وحين يكون كذلك يكون في الوقت نفسه عاملا من عوامل تطوير هذا المجتمع تطورا سليما دون ان يفصله عن جذوره ، ويقطعه عن اصوله ، ويعريه عن اصلته .. » .

ولكن كيف ، وما هي الطريقة ؟

( الادب والفرو الفكري )

ربما كانت محاضرة السيدة نازك الملائكة اوضح وثيقة عن مجمل الموقف الادبي ، بل الفكري ، بل القومي ، الذي اخذ يتبلور وراءه تيار جديد في بعض العواصم العربية ، في المشرق ، وذلك اثر انهيار التجارب اليسارية السياسية ، وما خلفته وراءها من خيبة وردة عنيقة ..

لقد كانت نازك الملائكة ، كما نعلم ، واحدة من الصف الادبي الرائد، سواء بما استحدثته من جديد في الشعر ، وبما ضمنتها من تجارب جديدة اصيلة ، وسواء بموقفها القومي ، ومعاناتها العميقة لتحويلات العميل الثوري في العراق .

ولعل نازك كانت من اكثر الابداء تحسسا بتكبة العروبيين في العراق خلال المد الشيوعي المزيّف . وربما جعلها ذلك تراجع كثيرا من منطلقاتها الفكرية حتى اصبحت اخيرا في موقع غريب بالنسبة لموقعها الاول . وقد يكون هناك اسباب اخرى خاصة ، لا ندري بها ..

ولكن اوساط الشباب المحيطين بالمؤتمر في بغداد ، كانوا جميعا متفقين على ان نازك اصح لها موقف شبه معاكس تماما ، لموقفها السابق الذي عبرت عنه باروع الشعر قبل سنوات .

اقول هذا كمدخل ضروري من اجل ان نفهم هذه الراء الغربية التي فاجت بها المثقفين في المؤتمر وخارجه .. من خلال المحاضرة المشهورة في العدد الماضي من الادب ..

واذا كان الدكتور سهيل قد كفانا مؤونة مناقشة معظم هذه الراء بالكلمة التي القاها مباشرة اثناء المؤتمر .. فان هناك جوانب كثيرة اخرى تحتاج الى المناقشة في محاضرة ( نازك ) ..

بل ربما كانت التجربة ( الجديدة ) التي صدرت عنها هذه الراء هي التي تحتاج الى مزيد من الكشف والحوار ..

وليتيني ان هذه التجربة لا تنفرد بها نازك اليوم من بين صفوف الابداء والمثقفين ، خاصة في العراق ، فان محاولة تحليلها ، والكشف عن مصادرها النفسية وارتكاساتها الاجتماعية بل والسياسية ، هي من اهم واجبات المفكرين العرب اليوم ..

ان نازك الملائكة في محاضرتها تلك ، تصدر عن موقف الرفض الكامل للادب العربي المعاصر . وذلك لان هذا الادب ، في رأيا ، هو حصيلة الفرو الفكري ، الذي تعرض له العرب . وهو اخطر بكثير من الفرو العسكري المادي . لان هذا الاخير هو احتلال للارض ، بينما الثاني هو احتلال للفكر والروح .

ونازك تنهت الادب المعاصر بالاخلاق ، بالالادين ، باللاعربية .. بالادية والاروحيية ..

بينما الفكر العربي ، قبل هذا الفرو، يمثل الاخلاق والدين والعربية الاصيلة ، والروحية في ( معنوته ) العميقة ..

اول ما يسترعي انتباه القارئ في هذا التصنيف ، قبل الدخول في مناقشة التفاصيل ، هو ان نازك تلجأ الى التعميم المطلق ، سواء في حكمها على الادب العربي القديم ، او في حكمها على ادب ( الفرو ) .. المعاصر .

فهي تعزو للتراث كل الفضائل الاخلاقية والدينية ، وترفعها كلها ، بالمقابل ، عن الانتاج الجديد ..

وهذا ما لا يستطيع حتى الترائيون ان يوافقوا عليه . اذ ان الادب العربي القديم حافل بمختلف وجهات النظر والمواقف الفنية. ان فيه ادبا ( طبيعيا ) - ان شئنا استعمال هذا المصطلح - فسي اشعار الجاهليين من امرء القيس الى الديباني . ويكفي ان نتذكر قصيدة



الاصلية ..

وتقف نازك مباشرة من هذا التقرير السريع ، من ادانة ادب الغرب كله بالبربرية والوحشية ، الى ادانة الكتاب العرب المعاصرين . فتأخذ على هؤلاء انهم يعالجون في قصصهم « اشنع النماذج فسي الانسانية والخلق . » كان يتناول الولد على ابيه او استاذة ، او ان بطل القصة يسير ويصق في الشارع .. وهنا ايضا تقع الكاتبة في التعميم السريع والمفلوط ، ولا تحاول التعمين والتخصص والتدليل المباشر .

انا مع الكاتبة في ان هناك ( بعض ) الناشئة ، ممن استهوتهم الفاظ وعبارات معينة ، ونماذج سلوكية عابثة سطحية ، وانطلقوا يحشون بها كتاباتهم المراهقة الضحلة .. ان هؤلاء يقلدون ولا شك . ولكنهم قد يقلدون بعض الادباء العرب ، او الادباء الغربيين . والتقليد ظاهري مشوه .

ولكن المسؤولية لا تقع على عاتق الكتاب الغربيين او العرب ، الذين تقلدهم هذه الناشئة من المراهقين ، المسعورين بالعنف السطحي، والغضب المتفعل . وربما وقعت المسؤولية على المجلات او الصحف التي تنشر لهؤلاء . وربما وقعت مسؤولية اكر على النقاد ، الذين عليهم ان يميزوا بين الاصيل والذخيل ، بين التجربة الحقيقية ، واصطناع التجربة .. وربما كان السبب ايضا في خطأ التوجيه الثقافي والتعليمي ، لهؤلاء الناشئة . فبدلا من ان تقدم لهم المصادر الفكرية والادبية الاصلية، فانهم يقعون على بعض النتاج الرخيص ، المشحون بهالة من الدعاية الصحفية والسينمائية ، المثيرة والشوقة ..

وانا مع الكاتبة ايضا عندما تهاجم الادب المكشوف ، المرتبط بقاية الانارة . ولكنني ارفض ان تعمم الكاتبة حكمها في هذا الموضوع ، فتدين ادب التجربة والمعاناة الواقعية . ان الجنس لن يكون بعضا الا عندما نخفيه . ولكن عندما يدرسه العلم ، ويكشفه الادب ، فانه يتحول الى دافع حيوي واقفي ، كبقية دوافع الحياة الاخرى كالجوع والعطش. وفي هذه الحال نستطيع ان نعالجه بهدوء ، ونكشف عن افئته المختلفة ، وعقده المرضية .. وخاصة في مجتمعنا العربي ..

ان ازدواجية الشخصية التقليدية في مجتمعنا ، وان كثرة من النماذج السلوكية العنيفة ، في مختلف مظاهر التطرف ، في الاخلاق والسياسة والاجتماع .. والحياة اليومية .. والعلاقات العائلية وغيرها، انما توجهها غالباً عقد الكبت ، والشهوات الدفينة . واذا كان ادبنا المعاصر ، ادب ثورة وتغيير ، فلا بد له ان يثور على جذور المركبات السلوكية ، المنقذة بالنفاق والرزانة ، وان يكشف في كل انسان عن ( قبه ) السري ، لكي نعرض اعماق البشر للشمس والضياء ، ونظهرها من العفن والتدليس والكذب على النفس والمثل العليا ، على الله والاديان ..

فلا نخشى الكاتبة الفاضلة من ان يتحلل هذا النوع من الاخلاق الخارجية المزيقة . فتحن لم نرث هذه الاخلاق عن عصور الحضارة والرفعة ، ولكنها اخلاق المجتمع المتخلف ، المحتل ، الجمود ، والمستنقع على هامش الحياة والابداع .. الف سنة على الاقل .. اخلاق البورجوازية والإقطاعية ، اخلاق السيادة المستقلة والعبودية الخائفة ، اخلاق ذل الصغير امام الكبير ، واذلال الكبير للصغير .. ليست هي اخلاق عمر ولا علي ، ليست هي عبقرية ابي العلاء ولا المتنبى .. نحن نحيا عصر انتقال ، تمرد وثورة ، فشل وارتداد ومعاودة للثورة . ولذلك فان كل شيء في المجتمع الفاسد القديم ، الذي تسلمناه ، عن عصور الانحطاط والخمود ، معرض اليوم للاهتزاز والانهيار ، في سبيل بناء جديد اسلم واصح .

فلستنا مستعدين للتخلي عن ثورتنا الشاملة ، من اجل بعض اعراض انحراف وشذوذ . ان الخطأ والانحراف ، صفة للحياة والنمو .. ولا شيء ينمي اجنحتنا حقا كالطيران وقت العاصفة .. ثم ان القومية العربية يا سيدتي ليست تكرارا للماضي ، واذا كانت في احد معانيها تمثل البعث ، فانها لن تبعث الا الينابيع ، لا المستنقعات ، واليد الصناع المبدعة ، لا الاشياء المصنوعة المتحفية ..

وبدلا من أن نعني على ادبنا المعاصر احتفاله بالحس ، والانحراف به احيانا ، فان من الواجب على المثقفين ان يسألوا عن السبب ، لا ان يدعوا البوليس الى المنع والرقابة .. ولعلك تتفقين معي ان السبب ، هو من نفس المعارض المرضي . اي ان اخلاق الكبت والتخريم هي التي تجعل الشباب يسترقون ادب الجنس ، وينحرف بعضهم نحو الشذوذ والضياع ..

لقد ذهب العصر الذي كنا فيه نسلك سلوك التواطؤ مع انفسنا : نتواطأ مع انفسنا لنخفي عيوب انفسنا ، ونتمسح بالمثل والادبان ، ونعزو لفسنا كل المناعة والرفعة ..

نحن لسنا فرسانا من خشب في صراع مع طواحين الهواء .. فالثورة الحقيقية قبل ان توجه الى الاخر ، هي في الثورة على النفس ، ضد فكر التواطؤ وسلوك التواطؤ وادب التواطؤ ..

والاخلاق الحقيقية تنبعث اولاً من موقف الجرأة بان نقول : لا ، للزيف والنفاق الجماعي ، وان نقول نعم ، للحقيقة البسيطة .. وحقيقتنا اليوم هي الثورة .. والخلق من جديد !

اما قصة الادب مع الدين ، فان نازك تريد ان تعلن انها متدينة من الطراز الاول ، وهذا شأنها .. ولها ان تبشر بافكارها الدينية من خلال ادبها ، وهذا شأنها ايضا ، كما هو شأن اي كاتب غربي مؤمن او علماني، او ملحد ..

وهي تقول ان الدين الاسلامي هو والحياة شيء واحد . واما الدين المسيحي فلا .. ولو انك اطلعت على مذاهب المسيحية وطرقها ، لرأيت ان هناك من يمزج الدين بكل نفس من انفاس الانسان المسيحي . ولعلك تذكرين ان الكنيسة كانت تتدخل في جميع شؤون الحياة الدنيوية للمسيحيين ..

وهناك ادباء متدينون لا يفصلون الادب اطلاقاً عن عقيدتهم . حتى ان التيار الديني في الفلسفة الوجودية ، وعلى رأسه ( كيركيغارد ) ، يعتبر ان الوجود الم شروع الوحيد ، هو ان يوجد الانسان مسيحياً ..

ثم ان تدليك على ان المسيحية في الغرب بعيدة عن الحياة، بسبب ايمانها بالخطيئة الاولى ، ودعوها الى الرهبنة ، وان الاسلام ممتزج بالحياة لانه يعتبر الزواج سنة .. شيء لا علاقة له بالادب ، حتى ان صح هذا ، فان الغرب لم يستطع ان يتخلص من تأثير الكنيسة وتدخلها في جميع شؤون حياته وفكره .. الا بعد عصور من الثورات الدموية ، والثورات الفكرية والعلمية والصناعية . بينما لم يكن في اظم اليهود تعضبا اي سلطان لكهنوت اسلامي على المجتمع . ومع ذلك فقد عانى كثير من المفكرين والادباء من استغلال الدين ضد حرية الفكر .. ولست ادري ان كانت الشاعرة نازك الملائكة ، صاحبة ديوان (عاشقة الليل) تدعو الى استمداء الدين على بعض الادباء ، حتى ولو على التحليلين منهم ، والناشئة الكفرة .. !

والواقع ان تقاليد الاحاد والعلمانية لم تاتنا عن طريق احتضاننا للثقافة الغربية دونما مناقشة - كما تقول نازك - ، فضلا عن ان قلّة نادرة من مثقفي العرب هم الذين اتبح لهم ان ( يحتضنوا ) جزءا من خصم الثقافة الغربية ، فان تجارب الشك وما يشبهها قديمة ، لدى بعض اعلام الثقافة العربية السابقة ، ونازك تعرف هذا ايضا .

واما دفاعها عن الاسلام وثقافته وشؤله ، فهو صحيح ، شرط الا يكون هذا التأكيد والالاحاح اسلوبا لنفي قيمة كل ثقافة اخرى ، وكل حضارة .. فلقد كان الاسلام الاصيل اوسع صدرا ، من كثير ممن ينطقون باسمه اليوم ، حتى استطاع ان يستوعب تفاعل الثقافات العالية على ارضه ، وان ينقل امانة الحضارة الى الغرب نفسه ..



ومن خلال هذا الموقف التعصبي نفسه ، تنتقل نازك الى مناقشة بعض المستحدثات في اللغة العربية . ومن خلال هجومها على الترجمة الركيكة ، وهي محققة في هذا كل الحق ، تحاول ان تعمم الخطأ ايضا ، فترمي مختلف مظاهر التجديد في الاسلوب ، بانها تقليد للغة المترجمة .. وهذا غير صحيح ايضا !

وتمضي الكاتبه بعد ذلك ، لتفند المفهوم المطلق للحرية المتعارض مع مفهوم الفصيلة وكذلك تعني على الادب العربي المعاصر ميله الى التساؤم وترديد معزوفة القلق . ثم تعرض للفوارق ( الاساسية ) بيننا وبين الغرب ، في اننا شعب روحي ، وشعب له قضايا ثورية كبرى ، بينما الغرب مادي متحلل ملحد ، يعاني من الفراغ ، ومن القلق على ثروته التي حصل عليها عن طريق الاستعمار .. وهكذا ! وكل ذلك يتابع سلسلة التعميمات والفرضيات السطحية ، دون

تمحيص او تخصيص ، ودون تدليل علمي واف . واخيرا لا شك ان الموقف ( الجديد ) الذي التزمته الشاعرة نازك الملائكة ، والذي عبرت عنه خلال محاضرتها هذه ، انما هو جزء من موقف فئة لا بأس بها ، اليوم ، من بين المثقفين العرب ، والتي صدمتها خيبات كثيرة سياسية واجتماعية ، واغضببتها بعض مظاهر التحلل والانحراف التي ترافق عمليات التحويل الجذرية التي يتعرض لها كياننا الانساني كله . واذا كان هناك ما يخفف من الطابع التعصبي لهذه الافكار والمواقف ،

عند نازك ، فهو رغبتها المخلصة ولا شك ، في ترسيخ اسس الحياة الجديدة للمجتمع العربي . ولكنها اخطأت الوسيلة ، وان عرفت الهدف . فالوسيلة ليست هي المنع والقمع ، والتعلق باوهام القوالب السابقة ، ولا في التأكيد على امجاد الماضي .. بل هي في الدفع اعمق فاعمق ، لكي تم الثورة الاصيلية ، وتتناول بالمقاييس الثورية ليس الماضي فقط ، وانما الحاضر ، ليس السلف ، وانما النقل عن الاخرين ..

ان الفشل الموقت لبعض مظاهر الثورة السياسية ، لا يعني التخلي نهائيا عن جوهر الثورة والارتداد الى حصون الماضي وحده . وان انحراف بعض الانتاج الادبي نحو التبذل والتقليد الاعمى ، لا يعني الفاء محاولة التأسيس الاعمق للتجديد والتفاعل . ذلك ما ينهنا اخيرا الى بعض الازمات الفكرية التي تنمو في مناخات الفشل ، والتي علينا ان نواجهها مباشرة ، باوسع واشمل مما فعلنا حتى الان .

مطاع صفدي

ثم تتعرض للهجوم على استخدام بعض المصطلحات القريبة في لغتنا كما هي ، وهي ضرورية وشائعة في اكثر اللغات الحية ، ما دامت لا تجد لها مقابلا كاملا عند الترجمة . اما ان تقديم الحال احيانا او الفعل ، فبالرغم من انه محذور لغويا ، ولكنه قد يفيد احيانا لا في النشر الحكومي - كما اوردت الكاتبه - ولكن في تنوع الاساليب الفنية في الشعر والقصة ، وذلك من اجل التأكيد على لفظة الحال نفسها ، او الجار والمجرور ..

ثم اني اعجب للكاتبه عندما تريدنا الا نستعمل مثل هذه العبارات: السوق السوداء ، الحرب الباردة ، مؤتمر القمة .. لماذا ، تقول الكاتبه، لانها وسائل من البلاغة اللاتينية .. !

وتصل الكاتبه اخيرا الى مناهضة ما تسميه ( المعنوية الغربية ) ، وتأخذ مثلا عليها جان بول سارتر .. المسكين ! فاذا سارتر يصبح يهوديا عند الكاتبه ، وهذا جهل مباشر ..

ثم تقع في جهل اخر ، او سوء فهم ، عندما تحلل كتابه الفثيان ، فتقول (سارتر ناشر فلسفة الفثيان ، ومضمونها ان المجتمع بغيض ، وان وجود الناس حولنا هو الجحيم الخ .. ) ولو قرأت الكاتبه اي نقد لهذا الكتاب لعلمت ان سارتر ، يتحدث عن تجربة انتزاع الانسان من اطار مجتمع معين ، هو المجتمع البورجوازي الفرنسي ، ثم محاولة البحث عن يتابع مبادئه وحرية الخاصة ، واعادة البراءة الى فكره ونظراته الى الامور ، كما يراها صافية في ذاتها دون اية هالة اجتماعية خارجية .. ولقد انطلق سارتر من تجربة الفثيان هذه كما يبشر باعظم فلسفة التزام في القرن العشرين ، فكتب الافا من الصفحات عن فضح الكذب والتواطؤ الاجتماعي والسياسي، والالتزام بحرية الانسان فردا وشعبا .. ولعل المثقف العربي اصبح يعرف عن سارتر اليوم ، ما يجعله يسخر من التهم التي توجه اليه جهلا وتعصبا . ومن الغريب ان تنساق (نازك الملائكة) مع هذا التيار ، دون ان تعتمد على قراءة واعية شاملة لانسار سارتر ، التي نقل اكثرها اليوم الى العربية ..

صدر حديثا

للكاتب الانكليزي الشهير

كولن ويلسون

# ضباع في سوهو

ترجمة يوسف شورو وعمر يمق

رواية رائعة صور فيها مؤلف (( اللامتني )) تجربة نابضة بالحياة قام بها شاب بين غرباء الاطوار والفنانين في احد احياء لندن الشهيرة ، بلهجة جديدة هي سر ابداع الكاتب الذي تترجم آثاره الى جميع لغات العالم .

وقد حصلت (( دار الاداب )) على حقوق ترجمة هذه الآثار الى اللغة العربية ، وستقدم بعد هذه الرواية عددا من كتبه الجديدة التي صدر بعضها ولم يصدر البعض الاخر باللغة الانكليزية .

منشورات دار الاداب

الثمن { ليرات لبنانية .

## القصائد

— تتمة المنشور على الصفحة ١٠ —

ببلاء ايوب الاسطورة — مع الفارق طبعا من حيث ان انتصار السياب في بقاء ذكره او في ان دمه لن يطل .

والحقيقة ان هذا لم يكن ما لفتني الى القصيدة ، انما الذي لفتني هو تفعيلاتها ، وقد نيه الشاعر فيها على انه يحاول استخدام « بحر عربي مهمل من زمان قديم » هو المديد يبقى فيه « الضرب » على « فاعلاتن » في الاحوال كافة . وفي هذا القول ما يؤخذ عليه لان المسألة في جوهرها ليست ارادة على اكتشاف قالب من بحر عربي قديم ، او على الاقل ليست بعنا لمقاييس مهجورة ، فسان التجربة او معاناتها او استدعاءات صورها هي التي تفرض القالب . بمعنى ان الوزن جزء من التلقائية التي تكون جوهر عملية الابداع قبل لحظات البروز وليس هو حيث التنظيم الذي يخضع للمنطق والعقل .

انا شخصيا لم ارتح لابقاعات القصيدة ، بل لم ارتح الا حيث جعل « فاعلاتن » وحدها هي وحدة مقطع كامل يبدأ بقوله « ثم مرت » والا حيث استخدم البحر كما استخدمه القدماء بعروض ضرب صحيحي .

ظل ايوب المدمى يمني  
نفسه والموت يستل نبضه

وفي مثل هذا الموضوع ضمن بيت الشنفرى المشهور « ان بالشعب الذي دون سلع » ليكون بيت القصيد !  
وفي الرأي ان الشاعر خلط بين المديد والرمل والتدارك ، واستخدامه وحدة التدارك بصفة خاصة « فاعلن » يبدو في مثل قوله :  
والسما الحزينة تزرع ارضه

جاعلا الضرب مخبونا مر فلا ، واحيانا لا يستخدم الا الترفيـسل  
بلا خبن فيقول :

وانى الغابة المستباحة والصبح طفل

علما بان الضرب المجنون المرفل لا يكون الا حيث يكون البحر مجزوءا ، ولكن الشاعر شاء ان يستقل كل رخصة خليلية حتى ولو كان ذلك على حساب الايقاع !

### اكتوبة وكلمات

عندما يتصدى شاعر للكتابة يكون مسلحا عادة بكل ادوات التعبير الاولية ، وهي اللفظة ونحوها والعروض بقضاياها الخطيرة . وهو لو اخل بواحدة من هذه يبدو عمله ناقصا ، ودعنا مما كان يزعمه الرومانسيون عن عفوية الشعر ، فهو صناعة مادتها الالفاظ او على الاقل تلقائية تضرب في اللاوعي وتنظيم فكري مقصود .

واذ اقول هذا اذكر قصيدتين من قصائد الاداب اولاهما « اكنوبة السنابل الخضراء » لعلي البطل من القاهرة والثانية « كلمات » لصباح الدين كريدي من اعزاز بسوريا .

على البطل لا يدقق في لفته حتى ليقول اكثر من مرة « والسبع بحار » مسخطا سيبويه في انه عرف المصاف مع ان القاعدة تقتضي ان يقول « سبع البحار » او « السبع البحار » اذا لم نحسب حساب التذكير والتانيث في العدد والمعدود . فاذا حسبنا حساب ذلك وجب عليه ان يقول « وسبعة البحار » او « والسبعة البحار » او « البحار السبعة » ثم « البحار السبع » على وجه ضعيف من الوجوه .

وصباح الدين كريدي بدوره يسخط الخليل كئيسرا واللفويين قليلا ، ولنسمعه يقول :

كل ما نهواه في دنيانا ومص وانطفاء  
وكذلك وهو يقول :

شاعري ماذا كتبت عن الرفاق الاشقياء

ثم وهو يقول .

وترانيل صلاة

واغانى غرام

وقد اضم الى هاتين القصيدتين قصيدتين اخريين وان كنت ارجح ان صاحبيهما اكثر قدرة على العطاء الشعري ، الاولى بعنوان « ابي » لجسب الشيخ جعفر والثانية بعنوان « الحزن » لاحمد حسن ابي عروق . بل ان قصيدة جسب الشيخ تعتبر من احسن قصائد اداب العدد الماضي ولا سيما في مناجاته لابيه ورصده صورا حلوة حلوة منها:

ابي .. الشتاء في ظلامه ورعده العظيم  
ما هزنا وانت ملء بيتنا جيش من الشجاعه  
سيوفه لماعه

ومنها ايضا :

ابي ابي الوديع كالياه في النهر  
ومنها كذلك :

ابي اراك لحيه من الشعاع

ومقلتين مثل كوكبين في اوائل السحر

وجبهة يسبح فيها قمر الضفاف .. يسبح المطر

غير انني كنت ارجو ان يربأ بنفسه عن ان يتورط فيما يتورط فيه المتعجلون ، والا فليعد الى المقطع الاول والمقطع الرابع فسيري نفسه يقول « اريد ان اللفظ عن لحيك الطلوع اذ تفتح الزهر » ويقول « وامطرت سماء اوربا ذماء جليدا امطرت حجر » .

وبعد ، فيؤسفني ان اتوقف هنا معترفا بانني قصرت في حق بقية الشعراء . انما عذري كثرة المادة الشعرية من ناحية الى حد يتعذر معه اي تحليل دقيق ، ومن ناحية اخرى اني اعرف ثلاثة من هؤلاء الشعراء يغفرون لي تقصيري وهم فرج صادق مكسيم وبدر توفيق ووفاء وجدي :

احمد كمال زكي

القاهرة

## سلسلة المسرحيات العالمية

١ — البغي الفاضلة وموتى بلا قبور

بقلم جان بول سارتر

ترجمة الدكتور سهيل ادريس والحامي جلال مطرجي

الثنى ٢٠٠ ق. ل

٢ — ماريانا

تأليف فديريكو غارسيا لوركا

ترجمة شامر مصطفى

الثنى ٢٠٠ ق. ل

٣ — هيروشيمما حبيبي

تأليف مرغريت دورا

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

الثنى ٢٠٠ ق. ل

٤ — لكل حقيقته

تأليف لويجي براندلو

ترجمة جورج طرابيشي

الثنى ٢٠٠ ق. ل

٥ — تهت اللعبة

تأليف جان بول سارتر

ترجمة مجاهد ع. مجاهد

الثنى ٢٠٠ ق. ل

منشورات دار الاداب — بيروت